الجمع بين العمل والإيمان بالقدر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

١ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ،

٢ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ.

٣ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ،

٤ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ،

٥ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا،

٦ وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛

٧ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٢١٥).

(٢١٥) رواه مسلم (٢٦٦٤).

آيات

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

الراوي

هو: أبو هريرة، واسمه -على الأرجح-: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسي، الأَزْدي، اليَماني، أسلَمَ عامَ خَيبرَ ٧هـ، ولازمَ النبيَّ ﷺ، وحرَص على العلم وحفظ الحديث، فكان أكثر الصحابة رواية للأحاديث؛ تُوفِّي بالمدينة سنة (٥٨هـ)(١).

خلاصة

يخبر النبيُّ ﷺ أن القوة في المؤمن أفضل من الضعف، ثم يأمر ﷺ بالحرص على الأمور النافعة، مع الاستعانة بالله عليها وعدم التواني، فإن وُفِّقْتَ لخيرٍ فالحمد لله، وإلَّا فلا تتأفَّف، بل قُل: «قدرُ الله وما شاء فعل».

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

١ يخبرُ النبي ﷺ أنَّ المؤمن القويَّ أحبُّ إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، والقوةُ هنا تشمل قوةَ الإيمانِ وقوة البدن؛ فقوة البدنِ تعين المسلم على أداء العبادات، والقيام بالواجبات، وأداء المهام المطلوبة من الإنسان في الحياة، وتنفع في ميدان الجهاد والدفاع عن الإسلام والمسلمين، وقوة الإيمان تحمله على الصبر على الطاعات، والبعد عن المعاصي والشهوات، وتحثُّه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتُصبِّره على أذى الناس وما ينزل به من مصائب الدنيا(٢١٦).

٢ ثمَّ بيَّن ﷺ أنَّه لا يعني تفضيل القويِّ على الضعيف أن يكون الضعيفُ لا خيرَ فيه، بل فيه خيرٌ كذلك وإن كان فاته حظٌّ كبيرٌ ومقامٌ عالٍ.

٣ ثم أرشد ﷺ إلى ضرورة التركيز والحرص على ما ينفع الإنسان حقًّا، ولا ينشغل بالمُلهيات وأساليب الترفيه وصدِّ النَّاسِ عن دينهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، فإن الله تعالى قد خلق الإنسَ والجنَّ لعبادته فحسبُ، فلا يجوز أن ينشغلوا عنها.

٤ فإذا حرص المسلم على ما ينفعه في أمر دينه ودنياه، فعليه أن يستعين بالله تعالى متوكلًا عليه في تحصيل ما يرجو، وأن يسعى في تحقيق ذلك، وألا يتكاسلَ عن بلوغ مراده مُتَّكِلًا على القَدَرِ، فإنه حينئذٍ يُلامُ على تفريطه وتضييعه.

٥ فإنْ أصابَ المؤمنَ أمرٌ خلاف ما سعى إليه، فلا يندم على سعيه وبذله الجهد، ما دام أنه أخذ بالأسباب، ولا يقل: «لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا» جزعًا وتحسرًا على قضاء الله تعالى.

٦ بل على الإنسان أن يبادر إلى تسليم الأمرِ لله تعالى، فهذا قَدَرُ اللهِ تعالى الذي كتبه علينا، ولا يكون إلا ما يريد. وليس معنى هذا أن يحتجَّ بالقدر على المعصية والوقوع في الخطأ والاستمرار عليه، فيقول: عصيت بقَدَرِ الله! فقد أنكر الله تعالى على الذين احتجوا بهذه الحجة الباطلة على شركهم؛ فقال: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

---

(٢١٦) انظر: «شرح النوويِّ على مسلم» (١٦/ ٢١٥)، «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لعلي القاري (٨/ ٣٣١٨).

٧ وإنما نهى ﷺ عن ذلك لأنَّه يفتح باب الشيطان، فتبدأ الوساوس في إنكار القَدَر، ويظن الإنسانُ أن النتائج موقوفةٌ على أفعاله، دون النظر لمشيئة الله تعالى وإرادته. وليس معنى ذلك أنَّ كلمة «لو» منهيٌّ عنها مطلقًا، بل تحرم إذا أورثت تذمُّرًا على قدر الله أو أفضت إلى إنكاره، أما إن قالها الإنسان على وجه الاعتذار عن الخطأ أو بيانِ حُكمٍ شرعيٍّ، أو حديثٍ عن مستقبلٍ؛ فجائزٌ؛ قال لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠]، وقال عليه السلام: «لولا أن أشقَّ على أُمَّتي لأمرتهم بالسواك»[٢١٧].

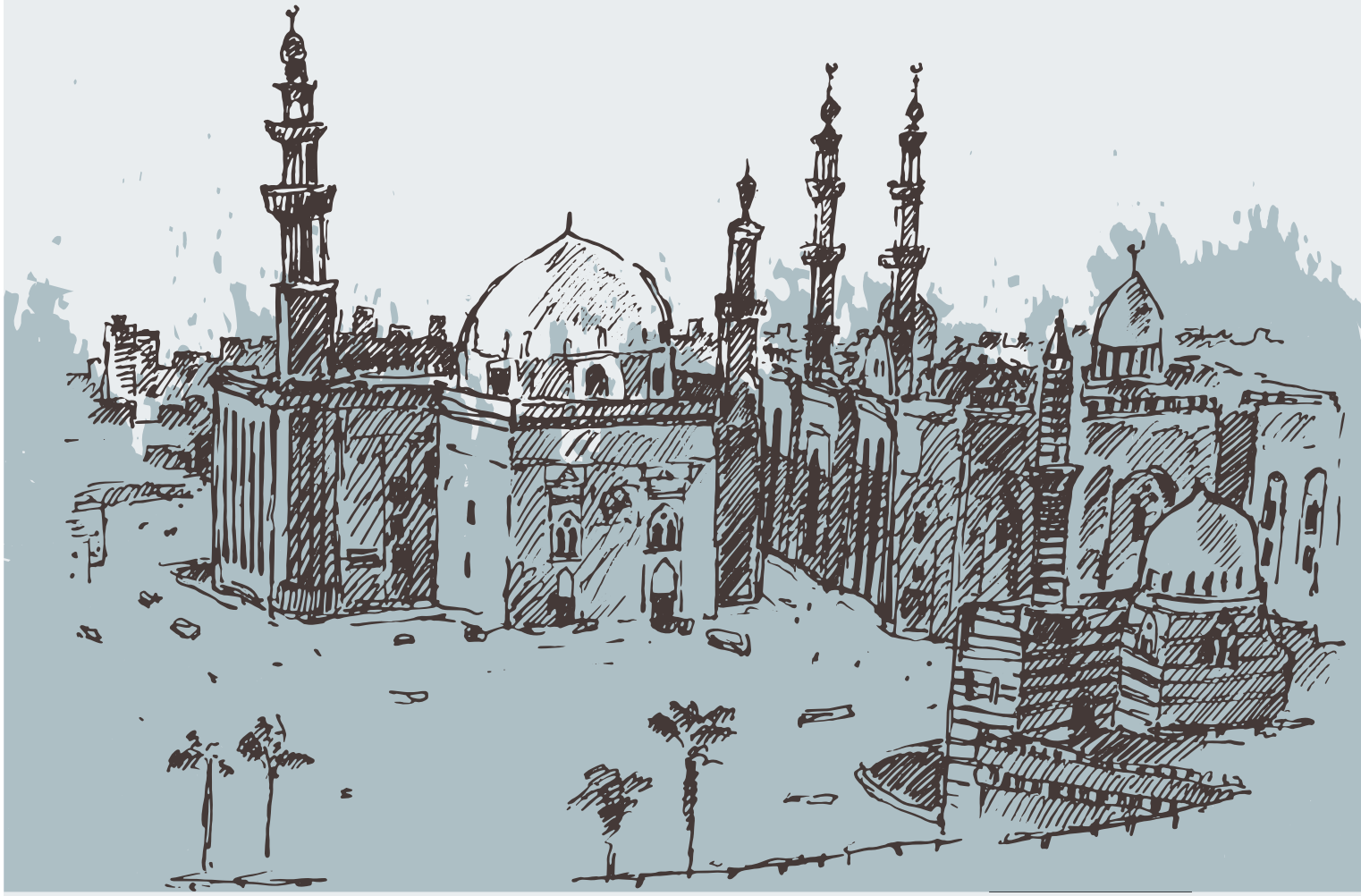

(٢١٧) رواه البخاري (٧٢٤٠).

استنباط

١ المفاضلة تبعث المفضول على العمل لإدراك الخير الذي فاز به الأفضل، ولهذا يحسن بالمُرَبِّين والمعلمين أن يقيموا المسابقات التي تُشجع على العمل والتنافس المحمود.

٢ في قوله ﷺ: «وفي كُلٍّ خيرٌ» جبرٌ لخاطر الضعيف وتطييبٌ لقلبه؛ إذ أخبر النبيُّ ﷺ بأفضلية غيره عليه؛ فعلى الشباب والدعاة والمُرَبِّين مراعاة ذلك.

٣ جمع النبيُّ ﷺ في قوله: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله» بين أصلين عظيمينِ هما مفهوم التوكُّل، وهو الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله تعالى والثقة به، موافقةً لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود: ١٢٣]؛ فينبغي الأخذ بالأسباب مع تسليم الأمر لله تعالى والاعتماد عليه؛ والمُعَلِّمُ ينشر علمه ويبسط مادته ويحسن إفهام طلابه، والطالب يُذاكر دروسه جيِّدًا، والعامِلُ والصانع والمزارع يُتقن عمله ويبذل قصارى جهده في إخراجه على النحو المطلوب؛ كُلُّهم مع الاستعانة بالله تعالى في قضاء حاجاتهم ونيل التوفيق منه فيما يبتغون.

٤ حثَّ النبيُّ ﷺ على عدم التكاسل والعجز؛ فإن كثيرًا من الناس اليوم يعزمُ على فعلِ شيءٍ من الأمور النافعة، ثم تضعُف هِمَّتُه عن إكمالِها فيفتُرُ عنها؛ فعلى الإنسان أن يجمع قُواه وينشط ولا يضعف ويتكاسل.

٥ في الحديث بيانُ أن المؤمن القويَّ بأيِّ وسيلةٍ من وسائل القوة أحبُّ إلى الله تعالى؛ فمن أراد أن يرتفع إلى تلك الدرجة من المحبة فعليه أن يتقوى إيمانيًّا وماديًّا وبدنيًّا.

٦ من القوة المستحبة في المؤمن: الاستطاعة والغِنَى؛ فهي نافعةٌ في التصدُّق على الفقراء وإعانة المحتاجين، وإنفاق المال في أوجه البر والخير.

٧ لا يجوز للإنسان أن يتلفظ بالألفاظ التي تُسخِط الله تعالى من سبِّ القدر أو التبرُّم منه، أو إنكاره في أوقات الشدة والرخاء.

٨ على الإنسان أن يحرص على ما ينفعه، ليس في أمر دينه فحسبُ، بل في صلاح دُنياه كذلك؛ فيسعى أن يعيش ميسورًا ذا مكانةٍ بين الناس بعلمه وأخلاقه وعمله، ومن ذلك الترقِّي في الدرجات العِلمية، وتحصيل العلوم الدينية والطبيعية من كيمياء وفيزياء ورياضيات وهندسة وطبٍّ، ولغات أجنبية وغيرها؛ مما ينفع به أُمَّتَه.

٩ إنَّ قوةَ الإيمان والبدن من أهم مُقَوِّمات التفضيل بين النَّاس في الدنيا والآخرة؛ فهذا جُلَيْبِيبٌ ﷺ أحدُ أصحاب النبيِّ ﷺ، كان دَمِيم المنظر قصيرًا، عرض النبيُّ ﷺ عليه الزواج فقال: إذن تجدني كاسدًا يا رسولَ الله، فقال ﷺ: ولكنك عند الله لست بكاسدٍ، فأرسله إلى أحد بيوت الأنصار يخطب ابنتهم، فتعجب الرجلُ وامرأتُه، إلا أنَّ

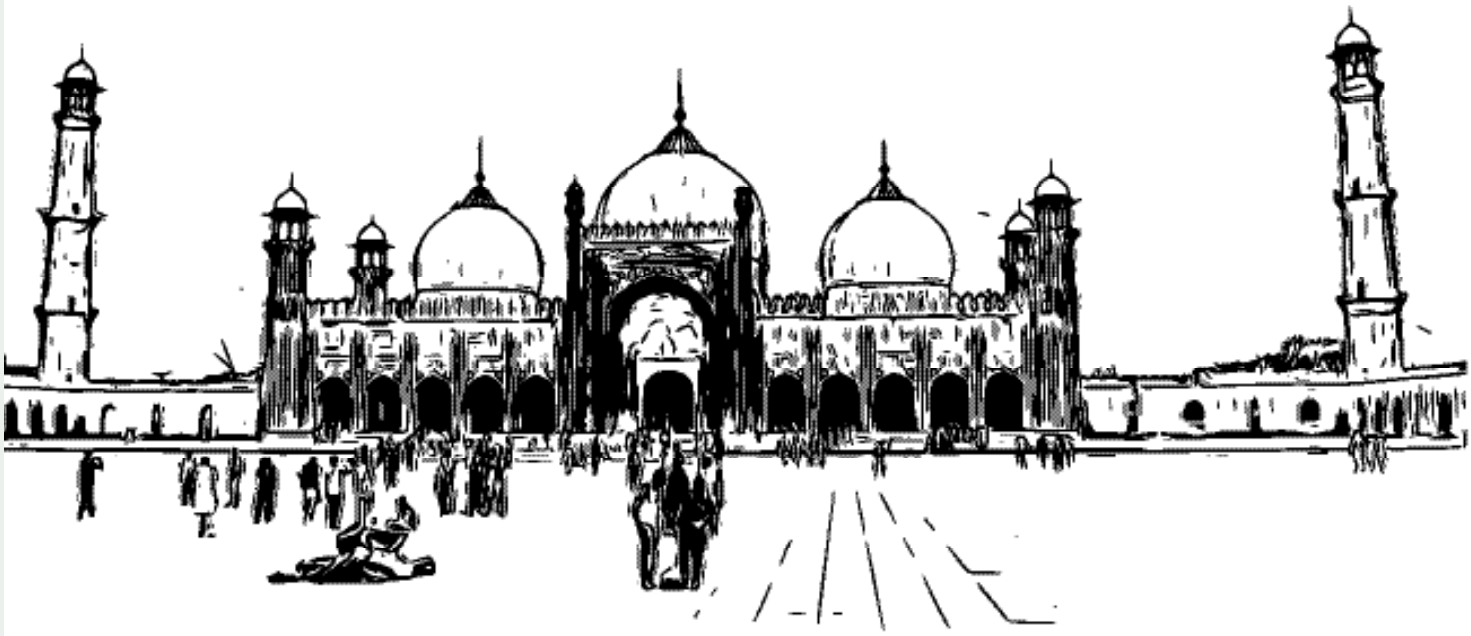

قال الشاعر:

بمَنْ يستغيثُ العبدُ إلَّا بربِّهِ ومَنْ للفتى عند الشدائد والكربِ؟
ومَن مالكُ الدنيا ومالكُ أهلِها ومَنْ كاشفُ البلوى على البُعد والقُربِ؟
ومَنْ يرفع الغمَّاءَ وقتَ نزولها وهل ذاك إلَّا مِنْ فعالك يا ربي؟!

(٢١٨) انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/ ٢٧٢)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٢/ ٢٢٢).